(كوني برداً وسلاماً)

بينما أشجارٌ تُسبِّح اللهَ وأطيارٌ تغرّد بحمده وعجماواتٌ تعيش بفضله، وأناسٌ زرعوا العِرق الأخضر ينتظرون نتاجه، تمتدّ يد أثيمة من البشر –وما هي من البشر– لتوقد النار في الأرض واللهب في السماء والحرقة في الكبد، فتأتي على خمسةَ عشرَ ألف هكتار من البساط الأخضر في ساحل الشام –وهو ما يقارب مساحة مدينة دمشق لمرة ونصف– فيها الغابات والمناطق الزراعية والمحميات الطبيعية.

إنّ المدة المقدَّرة لإعادة المساحات الخضراء تحتاج إلى ما يقارب عشراً إلى عشرين عاماً حتى تستعيد نموَّها، وإلى ثلاثين إلى خمسين عاماً للوصول إلى مرحلة النضج الكامل.

أيها الإخوة: صحيح أنّ الألمَ كبير والخسارةَ فادحة، ولكنّ عونَ الله أكبرُ، وعطاءَه أوسعُ، وأملَنا بعِوَضه أعظمُ.

في سورة الأنبياء قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)﴾ [الأنبياء: 68-71]

قال الإمام **القرطبي** في تفسيره: (﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما انقطعوا بالحُجّة أخذتهم عِزّةٌ بإثم وانصرفوا إلى طريق الغَشْم والغلبة وقالوا حرّقوه، قاله ملكهم نمرود – وكأنّي بالحال هو الحال فإن من انقطعت بهم الحيلة في الإساءة لهذا الفتح المبين يقولون حرّقوا أرزاق الناس وبلادهم، وانصروا بطشكم وظلمكم، يفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون–.

قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي أراد نمرود وأصحابه أن يمكروا به ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي في أعمالهم، ورددنا مكرهم عليهم بتسليطنا أضعفَ خلقنا. قال ابن عباس: سلّط الله عليهم أضعفَ خلقه البعوض، وقعت واحدة في منخر نمرود فلم تزل تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان أكرمَ الناس عليه الذي يضرب رأسَه بمرزبة من حديد).

ونحن نسأل الله تعالى أن يردّ كيد من كاد الشام في نحره، وأن يجعل هذه النار برداً وسلاماً على ساحلنا.

أيها الإخوة: في كتب السنة الشريفة أحاديث ترشد المسلم للتنبه عند التعامل مع النار فقد عنوَن البخاري في صحيحه باباً فقال: (**بَاب: لَا تُتْرَكُ النَّارُ فِي الْبَيْتِ عِنْدَ النوم**)، أخرج فيه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَتْرُكُوا النار في بيوتكم حين تنامون**».

وحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمِّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الفتيلة فأحرقت أهل البيت**».

وترجم ابن ماجه في سننه (**بَابُ إِطْفَاءِ النَّارِ عِنْدَ الْمَبِيتِ**)، وترجم أبو داود (**باب إطفاء النار بالليل**)، وترجم الترمذي (**بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْمِيرِ الإِنَاءِ، وَإِطْفَاءِ السِّرَاجِ، وَالنَّارِ عِنْدَ المَنَامِ**).

قال **القرطبي** المحدِّث: (جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة، ويحتمل أن تكون للندب، ولا سيّما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر).

نسأل الله تعالى أن يعيذنا من النار، وأن يجعل النار برداً وسلاماً على ساحل الشام، وأن يعوِّض الفاقدين خيراً، وأن يردّ كيد الكائدين في نحرهم.

والحمد لله رب العالمين